● **المبحث الثالث : مآل الأكثرية الأخروى :**

النص القرآنى الذى يحدد مآل الأكثرية الأخروى بلفظ صريح هو قول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

من معانى اللفظ « ذرأ » كثر وخَلَقَ، وعلى هذا فإن معنى الآية، ولقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، وقد يكون المعنى ولقد كثرنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، وعلى المعنى الأول يكون القصد التهيئة والإعداد، قال ابن كثير: « خلقنا وجعلنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس، أى هيأناهم لها وبعمل أهلها يعملون، فإنه تعالى لما أراد أن يخلق الخلق علم ما هم عاملون قبل كونهم فكتب ذلك عنده »(١) والذى يفهم من العبارة : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ** ﴾ أن الذين هيأهم المولى تبارك وتعالى لجهنم كثير، ولكن ليس فى هذه العبارة ما يبين أنهم يمثلون الأغلبية لذلك سنبحث فى آيات أخرى عما يبين ذلك، ففى قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الحجر : ٤٣] ما يشير إلى أن الأكثرية مآلهم جهنم، ذلك لأن الآية التى سبقتها تضمنت الإشارة إلى أن الشيطان سيعمل على أن يغوى الناس أجمعين إلا المخلصين من عباد الله . ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [الحجر : ٣٩–٤٠].

وفى سورة الأعراف يقول الله تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ **ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَّدْحُوراً لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [الأعراف : ١٧– ١٨]، فقوله ﴿ **وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ دل على أن الأكثرية

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٢ / ٢٦٨ .

كافرة، وقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بين المآل الذى ستصير إليه هذه الأكثرية التى لم تشكر الله، ولفظ (لأملأن) بدلالته المعجمية وصيغته التوكيدية يكشف عن هذه الأكثرية التى يأتى لفظ التوكيد (أجمعين) لبيانها.

ومما روى من الأحاديث الشريفة التي تبين مآل الأكثرية شرحا لهذه الآيات ما جاء فى مختصر التذكرة القرطبية فى باب: أمة محمد ﷺ شطر أهل الجنة وأكثر إذ قال: «روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تبارك وتعالى: يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك فيقول: أخرج بعث النار فقال يارب وما بعث النار؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذلك حين يشيب الوليد وتضع كل ذات حمل حملها.. قال أبو سعيد الخدرى فاشتد ذلك عليهم، فقالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ فقال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل، ثم قال والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا ثلق أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال والذى نفسى بيده إنى لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الحمار»[1].

فانظر إلى النسبة التى يحددها الرسول ﷺ، إنها تسعمائة وتسعة وتسعين فى الألف مآله النار، وواحد فى الألف يؤول إلى الجنة، أى (٩٩,٩ / ١٠٠) فى النار مقابل (٠,١ / ١٠٠) فى الجنة، ولكى يبين النسبة أكثر عمد إلى التشبيه الحسى فقال: «إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالرقمة فى ذراع الحمار».

إن هذه النسبة هى النسبة التى تحدد أهل النار، وتبين أنها الأكثرية المطلقة، وإنما يذهب إلى النار بهذه النسبة (يأجوج ومأجوج)، وهذا النعت يبدو أنه صفة لكل أمة لا تفقه المعالم التى وضعها الله كأسس للحياة لتكون معبرا للنجاة فى الآخرة.

---

(١) القرطبى: مختصر التذكرة القرطبية ص ٧٥ ط ١ المطبعة الخيرية المصرية.

ولاشك أن الأحاديث التى تشير إلى النسبة التى تمثل الأكثرية التى يؤول أمرها إلى جهنم كثيرة منها قوله ﷺ: «رأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن»[1]، وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[2].

والآن هل تحدد الآيات والأحاديث النبوية العلة فى كون مآل الأكثرية إلى النار؟ ولماذا يكونون من يأجوج ومأجوج؟ ومَن يأجوج ومأجوج؟ وما سر أكثر أهلها النساء؟

فى الحقيقة من الناحية المنطقية إذا كنا قد وجدنا فى بحثنا كله أن الأكثرية دائما فى الموقف السلبى؛ فأكثرهم للحق كارهون، لا يعقلون ولا يعلمون ولا يفقهون، وأكثرهم من ثم فاسقون، يسيئون العمل ولا يصلحون، يعيشون بلا عهد، يأكلون أموال الناس بالباطل، يتولون الذين كفروا ويستكثرون منهم، إذا وجدنا ذلك كذلك فإن النتيجة هى أن يكون مآل الأكثرية النار وبئس المصير لهذه الأسباب وغيرها مما فصلناه فى البحث.

ولكن مع ذلك فإننا سنعتمد هنا على تكملة الآية التى كنا بصدد تحليلها لنقف على التعليل الذى يقدمه القرآن لمآل الأكثرية، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾

[الأعراف: ١٧٩]

فالعلة فى كون مآل الأكثرية هو جهنم يكمن فى مسألة أساسية وهى تعطيل وسائل الإدراك الثلاثة. القلب أو العقل والسمع والبصر، وبمعنى آخر لقد أصيبوا بالغفلة المطبقة ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ قال الزمخشرى: «هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أن لا لطف لهم، وجعلهم فى أنهم لا يلقون أذهانهم

---

(١) فتح البارى: ١/ ٨٣.

(٢) الترمذى: الجامع الصحيح: ٤/ ٦١٧ - رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر، كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لإغراقهم فى الكفر وشدة شتائمهم فيه، وأنهم لا يأتى منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار، دلالة على توغلهم فى الموجبات لها وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار»[1].

هذه الآيات إذن تبين الأسباب الحقيقية التى جعلت الأكثرية من بنى البشر تؤول إلى جهنم – أعاذنا الله منها ومن أسبابها – ولكن هناك حقائق أخرى ذكرت في الأحاديث تتعلق بالنسبة المئوية داخل النار نفسها وهى ارتفاع نسبة يأجوج ومأجوج فى النار، ونسبة النساء من أهل النار على نسبة الرجال من أهلها، وارتفاع نسبة الأغنياء على نسبة الفقراء.

أما الحديث الأول الذى يبين أن أكثر أهل النار من يأجوج ومأجوج فإن المفسرين يذكرون أنهما أمتان تمثلان عشرة أجزاء البشرية وبقية البشرية تمثل جزءا واحدا[2]، وأن سلوكهم سيىء جدا لدرجة أنهم يتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم، وأنهم نتيجة كثرتهم وعدم انتظام تسافدهم فإنهم سيمثلون أكبر نسبة بشرية على وجه الأرض، ويستنتج الطبرى من ذلك أنهم سيجلون أهلها عنها ويفسدون فيها كثيرا[3].

أما الحديث الثانى الذى يبين أن أكثر أهل النار من النساء، فإنه يعلل ذلك بقوله ﷺ «يكفرن» وهذا الحديث له صيغة أوضح وردت فى صحيح البخارى هى: «عن ابن عباس، قال النبى ﷺ: أُريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، يكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خيرا قط»[4] ووردت

---

(١) الكشاف: ٢/ ١٣١ – دار المعرفة بيروت.

(٢) زاد المسير: ٥/ ١٩٠.

(٣) تفسير الطبرى: ١٦/ ١٩.

(٤) صحيح البخارى: ١/ ١٥/ كتاب الإيمان باب كفران العشير.

فى الجامع الصحيح للترمذى جاء فيها: «قال – رسول الله ﷺ – يا معشر النساء تصدقن فإنكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال لكثرة لعنكن، يعنى وكفر كن العشير»(١).

فالحديث يبين العلة التى بسببها كانت النساء أكثر أهل النار، وهى كفران العشير وكثرة اللعن.

وأما الحديث الذى يبين النسبة بين الفقراء والأغنياء فهو الذى ينص بقوله ﷺ: «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» وبمفهوم المخالفة يفهم أن أكثر أهل النار بالمعيار المالى هم الأغنياء، ولكن ليس بالمطلق وإنما المترفون منهم كما بين ذلك القرآن فى غير موضع، وقد بينا سبب كون المترفين ميالين إلى الظلم والطغيان والفسوق مما يجعل مآلهم هو النار، عند تحليل قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٦٤] وقوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ** ﴾ [سبأ: ٣٤] وقوله عز من قائل: ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾ [هود: ١١٦].

فهذه الآيات كلها تبين دور الترف فى حصول الانحراف العقدى والأخلاقى، وقد جاءت كلها فى سياق الحديث عن الأكثرية بأى صيغة من الصيغ التى مرت بنا، فآية الإسراء سبقت قوله تعالى: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ﴾ [الإسراء: ١٧] وآية المؤمنين سبقت قوله تعالى: ﴿ **بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، وآية سبأ جاءت قبل قوله عز وجل: ﴿ **وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ** ﴾ [سبأ: ٣٥]، أما آية هود فقد كانت مرتبطة بقوله عز وجل: ﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ**

---

(١) الجامع الصحيح ٥/ ١١

الْقُرُون من قَبْلكُمْ أُولُوا بَقيَّة يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦].

فالعلاقة بين الترف والظلم والإجرام والتكبر والغرور وكره الحق والاقدام على الفساد فى الأرض واضحة فى النصوص، وواضحة فى الحياة بحيث يمكننا أن نعدها سنة من السنن الاجتماعية، وقديما قال ابن خلدون: «ومن مفاسد الحضارة أيضا الانهماك فى الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن فى شهوات البطن... ويتبع ذلك التفنن فى شهوات الفرج.. فيفضى ذلك إلى فساد النوع... إن غاية العمران هى الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ فى الهرم.. بل نقول إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هى عين الفساد»(١)، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»(٢).

ومجمل القول أن مآل الأكثرية الأخروى هو الجحيم، والسبب الجوهرى فى ذلك هو غياب الفقه والعلم – غالبا – فى الوسط الاجتماعى والثقافى للبشرية، مما يشجعهم على انتهاك حرمة الشرع جهلا بحدوده، وإنما غاب عنهم الفقه الحق بسبب تعطيلهم للمدارك الثلاثة، حتى صاروا أضل من الأنعام **﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾**.

وقد بينت الأحاديث أن الأكثرية التى فى جهنم تصنف باعتبار اختلاف الأسباب إلى طوائف، فمن حيث الفكر أكثر أهلها يأجوج ومأجوج، وهما أمتان لادين لهم يردعهم عن الكفر والفساد وهؤلاء يمثلون ١٠ / ١١، وبقية البشرية تمثل ١ / ١١، ومن حيث الجنس أكثر أهلها النساء لكفرهن العشير، ومن حيث

---

(١) المقدمة: ٢ / ٦٦٥ – ٦٦٦.

(٢) الجامع الصحيح ٤ / ٥٥٢.

المكانة الاجتماعية، أكثر أهلها الأغنياء بسبب ما يدفع إليه الترف من فساد فى الأخلاق ينجر عنه الظلم والإجرام الذى يسوق إلى جهنم.

وبهذه الخلاصة نعرف أن المآل الذى آل إليه الأكثرية هو الثبات على الكفر عقيدة، والتعرض للاستئصال والسقوط الحضارى تاريخًا، ودخولهم جهنم فى الآخرة كنتيجة للمآلين السبقين، والأسباب تكاد تكون واحدة وهى التمسك بأسباب الجاهلية من هجر لكتاب الله، وإقبال على الفجور والظلم بمعناه المطلق.

* * *